# الزوجة الحسناء

للكاتب النمسوي هيرمان بار

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

... ولاقيت صديقي بول دورن بعد غياب طويل فاندفعت إليه في شوق قائلاً : « كيف حالك يا عزيزي ؟ لقد احتجبت عنا طويلاً ، أفتزوجت حقاً ؟ لم يكن ليضطرب في خيال واحد من رفاقك أنك تتزوج فتنزل عن بعض مافيك من عبث ومرح ولكن المرأة ... المرأة يا بول ! »

وابتسم بول في رقة وأخذ بذراعي يجرني إليه

أفكان لبول أن يتزوج وقد عرف فيه صحابته المجون والعبث ؟ إن هذا خيال ما يستطيع الإنسان أن يثق فيه !

وتناول سيكارة في هدوء ووقار ، وحدجته بطرف عيني فآلمني أن أرى فيه الرزانة والسكون ! لا ضير ، فهو زوج ! ثم ... ثم قلت : « لقد أبدلت طبعاً بطبع يا بول بعد أن تزوجت ... تزوجت من فتاة جميلة » فترك ذراعي في غضب وهو يقول: « دع عنك المزاح وإلاّ كان هذا فراق بيني وبينك ! » وأزعجني حديثه فاندفعت أسأل : « ما ذا ، ماذا يا صديقي ؟ »

قال : « حقاً ، إنها حسناء فاتنة ... ولعمري إن البلاء في الزوجة الحسناء ، فأنا أدفع الثمن غالياً ، نعم إني أحبها ولكن أتعلم ما يثقل زوج المرأة الحسناء ؟ إذا غاب عنك هذا فلا تتحدث عن شيء بعده . إن الزواج من حسناء يتطلب صبراً كصبر أيوب » ثم راح يصفر صفيراً مزعجاً وفي وجهه العبوس والتجهم ؛ وخيل إليّ أنني سموت إلى الغاية التي يريد فقلت : « أفرأيت يا بول ، إن خطاياك تنحدر إليك من صبب ! هذا هو الجزاء ! إن الغيرة تكاد تعصف بك » ونظر إليّ في دهشة وهو يقول : « يا للغباء ! أي غيرة ؟ فيم تفكر ؟ » وأسفت على أن رميته بتهمة هو منها براء ، فقلت : « أفلا تستشعر الغيرة ؟ » قال « لا . لا . إن الزوجة الحسناء هي خير ما يتمنى المرء إن لم يستعبدها جمالها » قلت : « لقد قصر عقلي عن أن أستشف ما تريد » قال : « سأضرب لك الأمثال لأكشف لك عن بعض ما عمي عليك »

وبدا لي أنه يتنفس عن كربته حين ينشر على عيني أمره ، وأنا صديق قديم حبيب إلى نفسه ، فتعلق بصري به وهو يتناول سيكارة أخرى فيشعلها وهو يقول :

إن النشوة التي سيطرت عليّ — يوم زواجنا — كادت تستلبني عقلي . لقد انطلقت إلى ميونيخ برفقة زوجتي ، وخيالي يصور لي أننا نستطيع أن نجول في أنحاء المدينة في لذة وسعادة ؛ نزور معاً بعض أصدقائي ثم نطير إلى مروج باڤاريا ننعم

بالحلوة ، وتقطف الثمرة الحلوة . ووجدت السعادة في ميونيخ ، وعلى حين فجأة بدأ القلق يضطرب في أظفريها ، فجلست إليها أستطلع الخبر ، فقالت : « لاشيء ! إنني أرى الجمال هنا ، ولكن ... ولكنني أرى في الناس غلظة وجفاء ! » وحدثتني نفسي : « يالله ! لا ريب أن في سكان ميونيخ البطء والهدوء ، أما الغلظة والجفاء ... ! » واندفعت هي في حديثها : « حقاً ، إن فيهم غلظة وجفاء ! إن المرء ليضرب في الطرقات والشوارع الساعات فلا يرى إنساناً واحداً يرفع بصره فيحدق في الآخر . هذه هي الغلظة التي رأيتها فيهم »

أفرأيت يا صديقي ؟ لقد زلت زوجتي ، فهي تريد الشوارع تموج بالناس بين معجب بها وعاشق لها ، وهي لا تجد بغيتها في ميونيخ . لعلك تنفجر ضاحكا من هذه السخافة ، ولكنك ستجد فيما أقص عليك متعة وسلوة

وفي الصباح التالي انطلقت أجلس في نديّ مكسمليان أنتظر زوجتي لأصحبها إلى المعرض . لقد تركتها في الفندق ترتدي ملابسها وتتزين . ولبثت طويلاً أنتظرها . ودقت الساعة عشراً وأنا جالس إلى نضد أردد بصري بين المارة وأحدق في دار الأوبرا وهي قبالتي ؛ وابتدأ الناس يتصدعون عن المكان والنُّدل متكئون إلى الجدار في كسل وفتور . وخلا المكان إلا من شرذمة من الطلبة يتحسون الجعة ويلعبون ؛ وهدأ المكان إلا من بعض كلمات تنفرج عنها شفاه الطلبة بين الحين والحين ؛ وبدر الانتظار في نفسي غراس القلق والضيق ... ثم جاءت عند الظهر ... جاءت ترف رفيفاً جميلا ، حسناء جذابة ، فاتنة خلابة ، تسير الهوينى في خيلاء وصعر ، وعلى ثغرها ابتسامة عذبة ... ومالت إلى النادلة تسألها ثم دلفت إليّ في أناة وتؤدة ، وحين صارت بإزاء الطلبة تركت مظلتها تسقط من يدها فاندفعت النادلة إليها والطلبة في شغل

وسألتها عن بعض ما تحب من أصناف الطعام لتتناول طعام الإفطار فلم تمر سؤالي التفاتة وراحت تقول : « أنا لا أريد أن أجلس إلى هذا الشباك فهناك في الشارع وعلى جدار الملهى أشياء تبعث في النفس الضيق والملل ... خير لنا أن نتنحى عن هذا المكان . ثم انطلقت تختار نضداً إلى جوار الطلبة ؛ وحين سحبت إليها كرسياً هزت الآخر فانتثر ما عليه من صحف فتناولتها والطلبة في لهوهم ما ينظرون . واستقر بنا المقام فسألتها مرة أخرى عما تتطلب من طعام ، والشوق يدفعني إلى المعرض ؛ غير أنها قالت في تؤدة وهي تضع نظارتها على عينيها : « خبرني ، أفلا يجد هؤلاء الطلبة عملاً سوى شرب الجعة ولعب الورق ؟ » وأمسكت بصحيفة أصرف بها عن نفسي السوء وأكفكف بين سطورها ثورة تضطرب في قلبي ، ولكنها لم ترض أن تنزل عن رأيها في سهولة ، فاندفعت تتحدث إليّ : « يالتعس آباء هؤلاء الطلبة ! إنهم يبذلون آخر فلس في جيوبهم في سبيل أبنائهم وهم يبددون المال في المقاهي ، أين المعلم وعصا المعلم ؟ » وانطويت عنها أردد بصري في سطور الصحيفة في إغضاء وإهمال ؛ ولكنها قالت : « أنظر إلى كؤوسهم ... إلى رؤوسهم ! يا عجباً ! إنهم كحالى المحطة ! »

وتأجج الغضب في رأسي وأنا أهدىء من ثورتي خشية أن ينثلم شرفي في هذا الندى ، ثم قلت في هدوء : « لا ، بل أستطيع أن أرى أن ميونيخ تبعث في نفسك الضيق والضجر ، وأنا لا أجد بداً من أن ننطلق إلى شليرسي بعد ساعتين ، فهو مكان

هادىء جميل ، وهناك دريتشر صديق قريب إلى نفسي » ثم رجعنا إلى الفندق نتأهب ...

وأبرقت إلى صديقي ... وبلغنا شليرسى عند الساعة الرابعة ، فألفيت صديقي لدى المحطة ينتظر . وانطلقنا جميعاً إلى فندق جميل على شاطىء البحيرة وحللنا غرفة واسعة أنيقة جميلة ، تتراءى أمامها البحيرة وما حولها من مباهج . وأضنى التعب زوجتي — أجانا — فانطرحت في فراشها في سبات عميق ؛ أما أنا فقد انطلقت على دراجتي أطوف بالبحيرة والقرية وأستجلي رواء الريف الجميل ، ثم عدت عند الثامنة فاذا هي في الحديقة ، وفي يدها كتاب ما تستقر عيناها بين سطوره ، وعلى خطوات منها بعض الريفيين ، وقس يجلس إلى الحارس . وأخذتني روعة المكان فأحببت أن أقضي بعض وقتي هناك ؛ واندفعت إليها وهي جالسة في ثوبها الأبيض الحريري الجميل ، يتأرج العطر منها عبقاً طيباً ؛ غير أنه لم يلتفت إليها أحد ، ووقفت بازائها أقول : « ما رأيك يا عزيزتي ؟ » فحدجتني بنظرة قاسية وقالت : « أهذه هي شليرسى ؟ أنا لا أستطيع أن أمكث هنا أكثر من يومين فهذا مكان لا يلذني » قلت : « إنه هادىء ... والبحيرة ... »

فقاطعتني « والبحيرة صغيرة عابسة » قلت : « والوادي الجميل ... » فقاطعتني ثانية : « والوادي الجميل غير صحي » قلت : « والجبال ... » فقاطعتني مرة أخرى : « والجبال ، أنا لا أحبها ! » ثم نظرت إليّ في ازدراء وهي تقول : « والطعام ردىء الطهي والجمعة البافارية تملأ الجسم شحماً ، وأنا لا أريد أن أبدو خدلّجة كالفلاحات . إنني أبتغي حياة هادئة . لقد كان من الخير لي أن أسجن في دير ولا أتزوج من رجل لا يحبني » قلت : « لا بأس ، سنرحل إلى بلد آخر إن لم تجدي اللذة هنا » ، واضطرب قلبي ، وانتفض فؤادي ، واستولى عليّ الأسى والحزن ، فأنا لا أطمئن إلى حياة قلقة لا أستطيع فيها أن أستقر في مكان جميل جذاب أجد فيه السكون والراحة ، ولكن ماذا أفعل وأجانا ما تهدأ ولا تطمئن. لا ريب فهي تريد أن تنطلق إلى فينا حيث تطوقها الأنظار في كل مكان ، لأنها إن افتقدت من يعجب بها حارت حيرة من اعتاد التدخين ثم هو لا يجد إلى الدخان سبيلا . تلك حقيقة مروعة ، فخير للانسان ألا يتزوج من حسناء !

وفي الصباح التالي بكرت إلى البحيرة ، إلى الوادي ، إلى الغابة أمتع نظري وأشيعها جميعاً بنظرات الوداع ، نظرات فيها الألم والحسرة ، والخواطر المتناقضة تصطرع في خيالي . أما هي ... هي أجانا فما تزال في مخدعها تنعم بالنوم الهادىء . إنني أتمشق هذه الناحية من الأرض ، ولكن ...

ولمع في خاطري رأي ، انفرجت له شفتاي عن ابتسامة فيها الرضا والاطمئنان ، فانطلقت أعدو في لهفة إلى صديقي دريتشر ، وهو ممثل بارع ، وهو رئيس فرقة التمثيل الأهلية في بافاريا يستمتع بشهرة عالية ؛ وهو أيضاً شاب فيه المرح والطرب والفكاهة والرأي النافذ والقريحة الوقادة ... وهو صديق فيه الاخلاص والوفاء.

وحين ضمنا المجلس اندفعت أقول : « دريتشر ، إنني أطلب إليك شيئاً وأرجو ألا تجادلني فيه . إنك تعرف كل إنسان في هذه الناحية ، أفتستطيع أن تعدني بشاب أنيق وسيم ليمثل دور عاشق ؟ » قال في دهشة « ليمثل ماذا ؟ » قلت « ليمثل دور عاشق . إنني أريده يجلس ويحدق ... يحدق في زوجتي ساعة من نهار . إن زوجتي قد اعتادت

هذا النوع من المنزل فهى تفزع عن كل مكان تفتقد فيه بغيتها . وسأدفع له ثلاث ماركات فى اليوم ثمناً لجلوسه فى الحديقة يردد بصره بين العينة والفيتة فى زوجتى ، وأدفع له ثمن شرابه » قال : « لاضير ، لا ضير ...! » ثم نشرت الخبر أمامه ، فقال : « نعم سأفعل غير أنى لاأستطيع أن أستغنى عن واحد من زملائى ، ولكن ... آه ، نعم . إن فى الفرقة عاملاً شاباً فيه الأناقة والظرف و ... دع عنك هذا ، سأحدثه الحديث كله الآن ؛ وفى المساء نبتدئ العمل ... » قلت « أشكرك ياصديق ، ولكن أفتطمئن إلى العامل ؟ » قال « وماذا يعنيك أنت ؟ إن المرأة لاتعنى بنظرات من يتعشقها بقدر ماتعنى بنظراتها هى ؛ وسترى ... »

وعند المساء انطلقتُ إلى مكتب البريد وخلّفت أجاتا وحدها فى الحديقة ... وجاء العامل فى ثوب أنيق ... جاء ينفذ أمر سيده فى براعة وإتقان ... ورجعت أحدثها : « لقد ذهبت إلى المحطة ... فراقنى أن نسافر على قطار الساعة العاشرة صباحاً » قالت فى لهفة : « ماذا ؟ ماذا تعنى ؟ أفلا تستطيع أن تستقر فى مكان ؟ إننى أميل إلى هذا المكان ، إلى البحيرة ... » فقاطعتها قائلاً : « ولكنها صغيرة ! » قالت : « هذا هو موضع الجمال فيها » قلت : « والجبال من حولها » قالت « لاضير ، فأنشد الهواء العليل فى أعاليها . سنبقى هنا حيناً من الدهر فما يرضينى أن نضطرب فى أنحاء العالم ... »

ومكثنا هناك ثلاثة أسابيع دفعت فيها الثمن غالياً . ولا ريب أن أجاتا لن ترضى بهذا المكان بديلاً ...

كامل محمود حبيب


استديو مصر يقدم نجيب الريحاني في

سلامه فى خير

بالاشتراك مع

راقية ابراهيم . روحيه خالد . فردوس حسن . حسين رياض . منسى فهمى

فؤاد شفيق . استفان روستى . حسن فائق . محمد كمال المصرى . إدمون توما

وفى نفس البروجرام

كازينو بديعه اسكتش موسيقى غنائى مصرى

جريدة مصر الناطقة : مصر المسحورة

يعرض الآن

بسينما رويال بمصر و سينما عدن بالمنصورة

وسينما الكوزموجراف بالاسكندرية